المطلب الرابع

أثر الوقف على السجن [1]

السجن هو أحد ميادين الدعوة الهامة حيث يضم فئات مختلفة من الناس تختلف توجهاتهم، قد ارتكبوا مخالفات متباينة، وإن السجن نوع من العقوبة التي توقع على الجناة أو المخالفين لأوامر الشرع، والسجن يؤدي إلى إصلاحهم وتهذيبهم وإعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين، إلا أن ذلك لا يتأتى من فراغ أو تلقائياً فقد يزداد إجرام الشخص ويستطير شره لمخالطته للمجرمين والأشرار ولكن حينما يتم تعهد السجناء بالتربية الدعوية وتراعى أحوالهم، ويقدم لهم ما يناسبهم من موضوعات الدعوة فإن ذلك نوع من العلاج الناجع، هذا بالإضافة إلى توجيههم إلى استغلال أوقاتهم في تلاوة القرآن وحفظه، ومذاكرة العلم، فإن ذلك سيحدث – إن شاء الله– تغييراً إيجابياً في حياتهم.

كما أن الرعاية الاجتماعية للسجناء في السجن، ولأسرهم لها عظيم الأثر في نفوس السجناء وأرى مناسبة ذكر نبذة مختصرة عن معاملة السجناء في العصر النبوي.

"لقد رسَّخ النبي ﷺ أصول الدولة والحكم على أسس الإسلام ومبادئه السمحة وجعل العقوبة بالسجن أحد متطلبات تحقيق أحكام شرع الله على المخالفين.

ولما كان العقاب بالسجن في الإسلام يسير وفق دواعي المصلحة ومقاصد الشريعة من جميع الجوانب أحيطت معاملة السجين في العهد النبوي بالعدل والرعاية والإحسان والعطف والرحمة قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [2].

"فإن الله سبحانه في هذه الآيات امتدح إطعام الطعام الطيب للسجين، وحث عليه وقرن الأسير باليتيم والمسكين ترغيباً في ذلك، وفي هذا حث من الإسلام على توفير ضروريات

---

(١) عرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– السجن بأنه:– تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواءً كان في بيت أو مسجد أو كان بتوكيل الخصم نفسه أو وكيل الخصم عليه– مجموع الفتاوى– ٣٥/٣٩٨.

(٢) سورة الإنسان الآيتان ٨–٩.

السجين واحترام إنسانيته وكرامته من الامتهان والابتذال.

ولـــذا عُنِيَ المسلمون بذلك في العهد النبوي بناء على التوجيه الإسلامي وجعلوه موضع التنفيذ، بل إن معاملتهم للأسير تجاوزت المعاملة الطيبة المعتادة.

وعـــندما أســـر المسلمون يوم بدر سهيل بن عمرو وكان قد هجاهم فاستأذن عمر بن الخطاب ﷺ رسول الله ﷺ أن يترع ثنيته، فلا يعود لهجاء المسلمين، فمنعه رسول الله ﷺ وبهذا منع رسول الله ﷺ أساليب التعذيب والتنكيل مع السجناء من الأعداء والمناوئين للمسلمين.

ولم تكن المعاملة الطيبة للسجناء خاصة بالمسلمين فقط، بل كان السجناء الأجانب غير المـــسلمين، في عهد الرسول ﷺ يحظون بالمعاملة الحسنة إضافة إلى أنهم كانوا لا يكرهون على الدخول في الإسلام ومن هؤلاء : ثمامة بن أثال الحنفي الذي أسره المسلمون فخرج من سجنه وقـــد اعتنق الإسلام حباً ورغبة فيه، ثم ذهب إلى مكة معتمراً فأسره المشركون وساموه سوء العذاب، ولكنه ثبت على الإسلام" [1].

"إن رسول الله ﷺ أرسى معالم معاملة السجناء حتى تمت عملية إصلاحهم وعلاج مواطن الخلل في نفوسهم وفي سلوكهم وتكوينهم النفسي، "ومن هنا لزم على الدعاة إلى الله أن يصنفوا المسجونين في العمل معهم حسب جرائمهم، ليجدوا لها العلاج المناسب وليساق الدليل المناسب كجرعات الدواء بعد فحص الداء؛ لأن الدواء من غير تفحص الداء لا يفيد شيئًا إن أشق شيء هو بناء النفوس وتقوية الشخصية وإعادة توازنها، فهي ترتبط بالفكر والعقل والجسم في نسيج متشابك، وإن المسجون يكون أمله في الحياة الكريمة ضعيفًا، تتراءى له رؤى سوداء قاتمة، ولهذا لا يعيد له ذلك الاعتبار سوى تذكيره بأن رحمة الله قريب منه، وأنه لا قنوط ولا يأس منها، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [2].

---

(١) انظـــر: السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية مقارناً بنظام السجن والتوقيف وموجباتها في المملكة العربية السعودية –د.محمـــد بـــن عبد الله الجريوي– ١/٢٢٥– ٢٢٧–ط١–١٤١١هـــ–١٩٩١م أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣.

إن بـــاب التوبة مفتوح، ولكن يحتاج إلى مفتاح لقلب المؤمن، وهذا المفتاح هو الإنابة والرجوع إلى الله والأوبة إليه.

والداعية هو مفتاح قلب السجين وهو الذي يوصله إلى باب التوبة ويبصره به ويذكره به" [1].

"ومن رحمة الله ﷻ أنه يقبل التوبة، وإن تكررت الذنوب والتوبة، قال ﷺ:(إذا أذنب عـــبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الـــذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب قال: أي رب اغفر لي ذنبي. قال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن لـــه رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفرلي ذنبي. قال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن لـــه رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك)[2].

وينبغـــي للسجين ألاَّ يسمح للوساوس والأوهام أن تسيطر على قلبه بأن بناء الحياة من جديد صعب أو مستحيل، بل يبدأ الحياة، فأبواب الرزق مفتوحة" [3].

إن مما ينبغي التأكيد عليه أن المجتمع الإسلامي يقوم على التكافل الاجتماعي، ومساعدة المحتاجين والمتضررين.

ولـــذا فإننا عندما ننظر إلى السجن باعتباره ميداناً من ميادين الدعوة نجد أن السجناء يحتاجون فيه إلى الرعاية الاجتماعية، ويحتاجون إلى الدعوة من خلال المحاضرات والكتب النافعة في العقيدة والشريعة والأخلاق وإلى الشريط الإسلامي المفيد وإلى من يعلمهم أمور دينهم ويبين لهم المنهج الصحيح في فهم الإسلام — المنهج الوسط- البعيد عن الغلو والتطرف، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى دعاة مؤهلين للتعامل مع فئات المساجين المتباينة.

---

(١) انظر: فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً —د. محمد زين الهادي العرماني- ص١٥٤-١٥٨.

(٢) صحيح مسلم- كتاب التوبة- باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة- حديث رقم (٢٧٥٨).

(٣) انظـــر: الأمل في قلب السجين —د. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي ص١٥٥-١١٦-ط١-١٤١٧هـــ-١٩٩٦م- مكتبة الملك فهد الوطنية.

لـــذا تحتاج رعاية المساجين إلى دعم مالي كبير؛ لأن السجين ما دخل السجن إلا لعدم التزامه بقواعد الشرع، أو لانحراف فكري لديه، وإن هذا يحتاج إلى نوع من العناية الخاصة حتى يعود إلى رشده وصوابه.

وإن ذلـــك يستلزم تضافر جهود المجتمع لدعم عملية الرعاية من خلال أوقاف خاصة بالسجون ينفق منها لرعاية تلك الفئة من المجتمع ولمساعدتها للخروج من تلك المحنة.

وإن السجون بحاجة إلى النهوض بمستواها من حيث إنشاء ورش مهنية ومراكز تدريب مهـــني لـــبعض فئات السجناء، حتى يخرج هؤلاء ويسهموا في نهضة مجتمعهم بدلاً من كونهم عـــاطلين أو يتركون للفراغ الذي قد يقودهم إلى التفكير في أمور قد تضر بالمجتمع، لأن الفراغ عامل خطير في حياة الإنسان، وسبب مباشر في ارتكاب بعض الجرائم، أما الإنسان الذي لديه هموم وطموحات إيجابية في الحياة، فدائماً ينشغل بتحقيق أهدافه المشروعة.

وإن الوقـــف على السجون يسهم في مساعدة وتأهيل وإصلاح السجناء، ليس في فترة الـــسجن فحـــسب، بـــل في فترة ما بعد السجن عن طريق تهيئة الفرص المناسبة لحياتهم بعد خروجهم منه.

ومـــن هذا المنطلق "صدرت الموافقة السامية بإنشاء لجنة وطنية لرعاية السجناء ونزلاء الإصـــلاحيات والمفرج عنهم، ورعاية أسرهم بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ٢ وتاريخ ١/١/ ١٤٢٢هـــ"[1].

"وهـــي لجـــنة وطنـــية اجتماعية خيرية لرعاية وإصلاح نزلاء السجون والإصلاحات ومـــساعدة أسرهم وأبنائهم باحتوائهم والمحافظة عليهم حتى لا ينحرفوا بسبب فقدان عائلاتهم وكذلك تقوم اللجنة بالرعاية اللاحقة للنزيل بعد انقضاء مدة محكوميته لاندماجه في المجتمع من جديد"[2].

---

(١) اللجنة الوطنية لرعاية السجناء-النظام الأساسي واللوائح ص ٤ الناشر مطابع دار الهلال- الرياض.

(٢) العمـــل والـــشؤون الاجتماعـــية ص ٢٨ نشرة تصدر عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية العدد السادس عشر- جمادى الآخرة ١٤٢٤هـــ.

"إن المطَّلع على نظام اللجنة الوطنية لرعاية السجناء ونزلاء الإصلاحيات والمفرج عنهم ورعايـــة أسرهم والأهداف المطلوب منها تحقيقها، والأدوار المناطة بها ليؤكد -وبشدة - على ضـــرورة العمل على إيجاد مورد ثابت للصرف على برامج اللجنة فمن الواضح ضخامة المهمة المناطة بها واحتياجها إلى موارد مالية كبيرة، ودائمة ومتجددة فمشاريع اللجنة المكلفة بها وفق نظامهـــا هي: تطوير البرامج داخل السجون، ورعاية المفرج عنهم من السجون، ورعاية أسر السجناء ماديًا واجتماعياً ونفسياً، ورعاية أسر المفرج عنهم مادياً واجتماعياً ونفسياً.

لا شـــك أنهـــا بحاجة إلى ميزانية كبيرة ومستمرة وذات مصدر واضح ودائم لاتصاف البرامج التي تقدمها اللجنة بالاستمرارية والتجدد.

ومـــن هنا فالحاجة إلى رأس مال كبير؛ لتمويل أعمال اللجنة يستلزم السعي ليكون لها مورد مالي وينبغي أن يتصف بثلاث صفات:-

١- مبلغ مالي كبير.

٢- الاستمرار في وصوله للجنة (الديمومية).

٣- عدم التقيد في صرفه، بحيث يمكن استثماره للمشاريع المستقبلية.

وقـــد يكـــون أحد مصادر رأس المال المطلوب لأعمال اللجنة هو أموال الزكاة، وهذا المـــصدر قـــد يـــسد جزءًا من الحاجة، أما المصدر الآخر المتوقع فهو ما قد يكون لدى وزارة الـــشؤون الإسلامية والأوقاف من ريع الأوقاف المخصصة للفقراء والمساكين، وفي هذا المصدر كـــذلك مـــا يسد بعضًا من حاجة اللجنة. ثم المقترح الأخير وهو إنشاء صندوق وقفي خاص بـــبرامج اللجـــنة، بحـــيث يتم تسويقه لدى الأثرياء والتجار والمحسنين، بشرط عدم استهلاك أصـــــول هذه المبالغ، فما يقدم لهذا الصندوق من تبرعات يجب أن يدرج مباشرة في مشاريع وقفية استثمارية "[1].

---

(١) الموارد المالية للجنة الوطنية لرعاية السجناء ونزلاء الإصلاحيات والمفرج عنهم ورعاية أسرهم وتنميتها د. عبد الله بن ناصـــر بن عبد الله السدحان ص ٩،١٠- ملخصات الحلقات النقاشية- الملتقى الأول للجان الوطنية لرعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم في الفترة من ١٨-٢٠/٨/١٤٢٤هـــ - بالرياض

"كما وجدت أوقاف خاصة لتخليص السجناء ووفاء ديونهم، وفكاك أسرى المسلمين، كما وجدت أوقاف للإنفاق على أسر السجناء وأولادهم، كما كانت هناك بعض الأوقاف المخصصة للصرف على الفقهاء بشرط أن يؤموا المساجين في أوقات الصلاة ويدرسوا ويفقهوا السجناء ويرشدونهم في حياتهم العملية ليخرج هؤلاء من السجن وقد أتقنوا علماً من العلوم أو حرفة من الحرف، وهذا ما يسمى في الوقت الحاضر بالرعاية اللاحقة بمفهومها الشامل وهي الرعاية التي تقدم للسجين وأسرته في أثناء سجنه حتى لا يعود للانحراف مرة أخرى، وحتى لا ينحرف أحد أفراد أسرته بسبب غيبته عنهم، هذا فضلاً عن رعاية الوقف للفئات الخاصة كاللقطاء والأيتام والمسنين والمعاقين وأسرهم" [1].

إن الوقف على السجون باعتبارها ميداناً من ميادين الدعوة له أثره الكبير والعظيم في إصلاح أحوال فئة من فئات المجتمع المسلم، يمكن أن تساعد في النهوض بمجتمعنا، كما أن الوقف على السجون يمكن أن يسهم في دعوة غير المسلمين وهدايتهم للإسلام من خلال البرامج الدعوية المناسبة في السجون، فضلاً عن الإحسان إليهم ورعايتهم من خلال ما يقدمه الوقف من دعم لهذا الميدان الدعوي الهام.

(١) المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية- سعيد عاشور-ص ٣٦٨- بدون رقم طبع-١٩٨٧م- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت.

دور الوقف في بناء الحياة الاجتماعية وتماسكها-د. عبد الله ناصر السدحان-ص ٢٣٨-٢٣٩.